



٢- أصدقائي الشعراء !

هذا لا يؤدى

بقلم معاوية محمد نور

على أن تقدمه الذهنى وقف هناك ، وأن وعيه الفنى لم يتطوّر ؛
ففى الطبيعة خلاف البحر الذى يقف عنده القروى ، وفى الطبيعة
خلاف الشواطىء التى تقف عندها سفن البحارة ، أشياء أخرى
أدق وربما كانت ألصق بحياتنا. وأجدر بالتفات الشاعر . فالحجر
الصلد الذى يقف فى طريقك ، و « الشارخ » الذى تصقله مصلحة
التنظيم حيث يعمل جماعة المهندسين ، والفأر المارّب من سفينة
خربة ، والذباب الذى يطن على جيفة عفنة ، وقطعة الحديد التى
أكلها الصدأ ، والخشب الذى نأكل عليه ، والزرع الذى تلبسه
ثيابا ، والعصفور الوحيد الذى ينتقل من بيت لآخر ، والحمل ،
والنحل ، وصوت الباخرة ، ونجيح القرام ، وخلافها من المظاهر
التي تراها ونسمعها فى غدوّنا ورواحنا هي أجزاء حية فى الطبيعة ،
واللائقات اليها فى وضع جديد أتى به نظام حياتنا الراحنة وحضارتنا
المعاصرة ، لأدلّ على فهم الطبيعة من آلاف القصائد عن البحر
والشفق والنجوم !

ومجب ألا يفهم من هذا أننا نشكر على الشاعر أن يعنى
مظاهر الطبيعة الكبرى ، البدايات الجميلة أو التوحشة ، ولكن
هنا يقل الابداع ، ولا يسلّم الشاعر من الاسفاف والتفاهة ، إلا اذا
كان عملاقاً عظيم النظر فريد الشاعرية ؛ كما أننا لا نشكر الالتفات
الى « المظاهر الرومانتيكية » التى يولع بها المهندس ، ولكن هذا
الالتفات وهذه العناية « بالريفيات » يسهل فيه الفس ، وتندر به
الاجادة والتفرد ؛ وهو أقرب طريق يلجّه الأديب القليل الحيلة ،
المقلد الأسلوب ، الذى لا تميزه شارة ، ولا يستشف فى تكوينه
إصالة نظر أو عمق تفكير .

وكثير من شعراء أوروبا المعاصرين اقتربوا من الموضوعات
الرومانتيكية بأسلوب جديد ، فبدلاً من الحديث عن سحرها
وخوفها وهولها ، تراهم يحاولون تفسيرها والنظر اليها من خلال
شعور وعقلىة رأت وصممت وقرأت ما يجعلها تنظر الى هذا الجمال
والهول والخوف من زوايا جديدة ليس فيها ذلك الجهل الناطق .

وعندى أن السر فى أن شعر على محمود طه المهندس قد نال شيئاً
من التقدير والثناء مرجعه لأجادة الصنعة والصقل ، ولو أن مواده
هى الأخرى نافذة بدائية المعنى ، غير صادقة ، يميزها الشعور
الفردى القوى ، والنظر الأصيل الواحد .

ثم لأن العرف الدارج والمقل الشعبي قد تمود أن يقرن
الشعر بمظاهر الطبيعة المعروفة . فيقول الناس عن ليلة مقمرة :
إنها ليلة شعرية ، أو عن روضة فيحاء : إنها تبعث على النشوة
والسرور ، وإلهما لكذلك . غير أن الشاعر الذى لا يتعدى فى
تفهمه ووعيه الشعرى سوى ترويض ما تواضع عليه الناس وأقروا به ،
إنما يدل على أن المحاكاة والتقليد والعرف الدارج هي أبرز خواص
فكره ، وأخص نيادين لعبه الفكرى .

وعلى محمود طه يكتب عن الطبيعة ويستوحى النهر والبحر
والقدير والقمر والأشباح والرياض والشفق ، ويفهم أن « الطبيعة »
التي يمدح بأن تنظم شعرها هى الطبيعة فى أضخم مظاهرها وأعظمها ،
وأوقعها فى الحس ، وأشدّها رائحة ، وأهولها منظرًا ؟ وهو
لا يفهم هذا الفهم ويتجه إليه لأن مزاجه هكذا ، ولكن
لأن هذه الأشياء قد كثرت فى الشعر وأصبحت معروفة معترفاً
بها على أنها تصلح موضوعاً للشعر ، ولو لم يحسن الأديب تجاهها
بأى شعور غريب أو نظر حديث .

وبدعى أن الشاعر المعاصر الذى لا ياتفت فى عالم الطبيعة
إلا إلى المظاهر التى التفت اليها خلافة من عهد آدم ، يدل أولاً

فإن كل شيء لا يعرفه إلا إنسان يبدو له سرّاً تحار فيه الأذهان ، ولو كان من أبسط البسائط ١ -

فالقروى الذى يزور القاهرة لأول مرة ويشاهد « المصعد الكهربائى » لا يمكنه إلا أن يذكر الله والأسرار ، وتملكه الحيرة والمجب ، فإذا حاول مثل هذا الرجل أن ينظم قصيدة عن « المصعد » فقد تروق لأمثاله الذين لا يعرفون الميكانيكيات « وقوانين الطبيعيات » . ولكن القارى المتحضر لا يستطيع قراءة قصيدة تنسب إلى هذا المصعد أهوال الجن وعمل الشياطين ! فالثقافة ووعى العصر الذى نميش فيه لا بد منها لآى فنان يكتب ليقرأه الجيل الذى يعيش بينه ، وذلك لأبش الشعراء المصرى المعاصر لا يعيش فى « شبره » أو « ديوان حكوى » ، ولكنه قبل ذلك إنسان حى يعيش فى كل العالم ، وبحس بعض ما يدفع بالنفوس الآدمية إلى مناجاة النفس مثلاً فى روسيا ، أو الحركة والعمل فى أسبانيا واليابان . والذى يستطيع أن يرى فى شارع عماد الدين مثلاً وجوهاً وأجساماً وثياباً وآلات كاملة الصنعة مصقولة الظاهر ، مخبر مظهرها عن السكون والاطمئنان ، غير أنها تفتح عوالم داخلية مروعة . وبالاختصار فإن الفنان الذى لم يحس بقبس أو لمحة أو فاحية من « تيار وعى » Stream of consciousness كامل يمكنه من رؤية التشابه فى أشياء ، ومظاهر بادية الاختلاف ، أو بالعناصر والقوى والفكر التى تذهب جميعاً لإخراج فكرة أو مظهر عادى مما تراه فى حياتنا اليومية ؛ ليس لديه تلك الملكة الشاعرة التى تستطيع أن تبني للقصور من الرماد والهواء ، أو تحلل السيارة الجيدة الصنع ، الجميلة المظهر إلى عناصر حلم وغفوة إنسان وعصب حيوان ، أو فقرات مادة سنجابية وجرح عامل فقير ، ليس له ذلك الاحساس النافذ القدير على التكوين والتحليل ، الذى يجبر القارى على الانصات له والاستماع لنغمه الشعرى .

وإنى لأعجب كيف يعجب أى قارى له حظ من الثقافة ودقة الحس بكلام مثل هذا :

رب ليل مر أمضيته ضياءً وعناقاً
وأدرنا من حديث الحب خيراً تتساقى
فى طريق ضرب الزهر حواله نطقاً
وتجلى البدر فيه ، وصفا الجو وراقاً

فإذا كان هنالك خب وضمو عناق ، وزهر وبدر وجورائق ، فالإنسان العادى ليس به حاجة ليحس بنشوة آدمية حسية من غير أن ينظم له هذا الكلام شعراً . وإن أى إفريق فى أدغال أفريقيا ، حينما يصفو الجو ، وينمو الزهر ، ويشرق البدر ، ويجب امرأة يستطيع أن يقول هذا الكلام .

وعند على محمود طه أيضاً شعور غير محمود بأنه شاعر ، ذلك لأنه قد ضم كل الشعرى وأحصاها فى ديوانه . فقصيدته ميلاد شاعر - مثلاً كلها تعجيد لهذا الرجل الذى يحسب نفسه شاعراً ، لأن لفظة الشعر والشاعر والزهور والألحان تكثر فى كلامه .

والرجل الذى يستطيع أن يكتب - بعد معرفتنا الحاضرة وشعورنا المحدود الذى أتاحه لنا العلم والبحث العصرى مثل هذه الأبيات الآتية ، إنما أحسده لبساطته التى لا تحسد . وتجلى الصدى المتخوف الساحر فى محيط من الأشعة غامر وسكون يث فى الكون روعاً . وقفت عنده الليالى الدوائر (كنا) واستكان الوجود والتفت الدهر . وأصغت إلى صده المقادير (كنا) . وقد يتورط محمود طه فى غرامه « بالشعريات » برسمه صوراً - مضحكة إذا لم تكن مستحيلة كقوله :

ماؤه ذوب خمرة وسناشمس ورديا وألحان طائر
وعنده إذا لم يجعل هذا الماء ذوب خمر وسناشمس ورديا ورد
والألحان طائر فى آن واحد فهو ليس بشاعر . وأى منطق يستطيع أن يفهم شيئاً يكون سناشمس بحرقه ، ورديا ورد ، ثم يكون فى نفس الوقت صوت طائر ؟ ! . اللهم إن هذا خلط قبيح لا يرضاه لصديقنا الشاعر .

وليس أدل على فهم شاعرنا لطبيعة الشعر من قوله فى رثاء شاعر :

وهو شعر صورت ألوانه بهجة الفجر وأحزان الشفق
ونشيد مثلت ألحانه همسات النجم فى أذن النسق .
وفى قصيدة « الله والشاعر » بساطة مؤلمة فى أن يأمر أديب الأرض بأن :

مدى لعينيه الرحاب الفساج ورقرق الأنواء فى جفنه
وامسك يا أرض عصف الرياح والراعد الغضب فى أذنه
فهذا الكلام لا يشرف أى طالب فى مدرسة ثانوية ، فضلاً عن شاعر عصرى . والقصيدة ملاهى هذه الأشياء التى تواضع

والأخيلة التي يسهل على أي يد تحرك القلم أن تأتي بها :

أصدقائي الشعراء ، أقولها لكم خلاصاً : إن هذا عبث قبيح بالكبار . وأقبح ما فيه أن يأتي من جيل جديد له دعوى كبيرة نسمع عنها في الصحف ، وهو على هذا التخلف الميب في فهم الفنون والحياة . ولو أننا رأينا الاتجاه صحيحاً ، وأن الطريق الذي تسلكونه مهما كانت النظرة زائفة والنعم غير منسجم لتساهلنا ، وكانت معالجتنا للموضوع غير هذه ، غير أن الطريق من أوله خاطئ ، وأن الفهم من أساسه غير صحيح ، وأن هذا الطريق لا يؤدي أبداً ، وأن الشيء الذي نسميه شعراً هو خلاف هذا في جلته وتفصيله ، فمن شاء منكم فليرجع الى نفسه يحاسبها ، وينظر من جديد ، ويقراً ما يقول خلافاً من الشعراء الفحول ، وخاصة المعاصرين في أوروبا ليري في أي طريق تسير الأقدام ، وإي عوالم يكتشف الفنان المعاصر ، وأي المسائل يبحث النقاد ، وأي «وعى في» يجرد الفنان الحي الذي يعيش في عالم الأحياء الشعارين .

معارفة نور

البسطاء على أنها الطبيعة التي لا طبيعة غيرها .

مر بهر دافق سلسبيل تهفو القاردي خول شاديه
في ضفتيه بإسقات النخيل ترى الشياه تحتها غانيه
فاذا كان هذا النهر ملحاً مثلاً ، وكانت هنالك ضفادع على
حوافيه ، وأحجار تدعى الأقدام بدلاً من النخيل ، فليس هنالك
طبيعة تجدر بالشاعر والشعر ! :

حتى إذا شارف ظل الشجر في روضة غناء ربا الأديم
قد ضحكت للنور فيها الزهر وصفقت أوراقها للنسيم
فهذا الشاعر لا يكفيه أن تكون هنالك روضة غناء ربا الأديم
ولكن لا بد أن يضحك الزهر ويصفق النسيم لأول مرة !
أما المسائل الفكرية التي آثارها الشاعر في حوار مع الله
فهي أول ما يقرأ الطالب في العلوم الدينية في باب القضاء والقدر .
إن مسألة الآثم والشر لا يعالجها فنان عارف بمثل هذه البساطة
وفي قصيدة «قيثارتى» مثل قوى لهذه النزعة نحو «الشعريات»
التي حاولنا إيضاحها ، وهذه هي أواخر الأبيات من غير تحوير
ولا مبالغة ، ولو أنها أشبه بالمبالغة والتحوير :

الفور والآكام . الشعر والالهام . مودتى
وذماى — قديم هيامى . قلبى الدامى . دماى
الهامى . حبيسة الأتنام .

إن مثل هذا الشعر ليوحى الى القارىء
الدقيق الحس كراهة الآكام والزهور والبحار
والأتنام وما إليها لهذه النعمة المتذلة . الكثيرة
التكرار ، التي لا تحس معها بواقعة حل صحيحة ،
أو شعور نضر مباشر !

ولما أتينا بهذه الاستشهادات لنسدل
القارىء على أننا لا نعرف ، وإلا فإن الديوان
كله يصح أن يستشهد به ، فما يخرج في الفاظه
ومعانيه عن هذه الألفاظ والأمثلة والماني .

وقد كنا نظن أن أصدقاءنا من الجيل
الجديد الذين يشتغلون بالشعر ، يفهمون الشعر
على حقيقته ، وأنه ليس الفاظاً ومبالغات عن
عالم الطبيعة والزهر والحب وما إليه من الألفاظ

البخارى

بشرح بدر الدين الزركشى

من العلوم أن كتاب «البخارى» من أجل كتب الحديث الممتدة ، وهو
أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، يطبع الآن طبعا لم يسبق له مثيل ، إذا
رأته لا تملك أن تصرف بصرك عنه . والشرح غاية في الإيجاز مع ضبط
الألفاظ اللغوية ، وحل الاشكالات المعنوية ؛ تبلغ أجزاءه زهاء الاثنى عشر
جزءاً ، تم منها الآن خمسة أجزاء ونعناها خمسة وثلاثون قرشاً عدا أجرة البريد ،
وتمن كل جزء بمدها في الاشتراك خمسة قروش فقط مادام تحت الطبع .

« يطلب من المطبعة المصرية تليفون ٥١٧٠٤ »